

ملخص

لعلّ روعة النصّ الصوفي وبصفة خاصّة النصّ النّفري، تبدو في هويته المتحرّكة وفي تنوّع خطابه وتعدّد أنماط معجمه وخصوصية متنه، ويتبدّى ذلك من خلال عبقرته التي لا تستقرّ على حال بل هي متموّجة تنوس بين التغيّر والثبات والظاهر والظاهر والحقيقة والمجاز، ومن ثمة كان لزاماً على الباحث أن يميّز بين الأصلي والفرعي وبين الحقيقي والوهمي وبين الحسي والمعنوي وبين الخاص والعام في هذا الجنس من الكتابات المخصوصة في ضوء أنساق المتن الصوفي، والنصّ النّفري بالتحديد وصفاً وسرداً وحجاجاً.

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ الخطاب؛

النّفري؛ المخاطبة؛ الرموز.

Abstract

Maybe the magnificence of the mystic script, particularly Nifari, s/scripts manifests itself in its dynamic essence and in the variability of its types of semantic terminology. The latter is obvious through its lexis which don't settle down to a specific status, but it is oscillating between its variability and persistence; the apparent and the implicit meaning as well. Relying on these facts, the researcher has to distinguish between what is emotional and what is moral, as far the mystic texts is concerned.

Keywords: Mysticism; Discourse; Nifari; Sufi-addressing; Symbols.

Url de la revue :

<https://www.asjp.cerist.dz/en/Presentations/Revue/484>

من أنماط الخطاب في النصّ الصوفي النّفري (ت354هـ) أنموذجاً

One of the types of discourse in the soufi text

Al-Anfry (d. 354 AH) is a model

الساسى بن محمّد ضيفاوي*،

جامعة سوسة،

Sassi.dhifaoui@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020.12.19

تاريخ القبول: 2020.12.21

تاريخ النشر: 2021.02.24

**Ex
PROFESSO**

المجلد 06 ، العدد 01 ، السنة 2021

*-المؤلف المراسل.

مقدمة:

إنّ ما نشده من هذا البحث هو ما لمسناه من بنية متشاكلة ومتداخلة في المتن الصوفي وما تنطوي عليه مؤلفات النفري من مقوّمات لغوية ومنهجية، ممّا دفعنا إلى دراسة نصوصه ومقارباته التي تنخرط في البحث عن الحقيقة ومجانبة هوى النفس ومحاربة التقليد والمقلّدين، وتأسيس جملة من المعارف والحقائق الإنسانية والربّانية معاً، فهو رجل يقرّ بمركزية العقل، إذ يرى أنّ الله خلق العقل فوجب أن نوظّفه توظيفاً سليماً وحكيماً، حتى ندرك به الحقائق، لكن لا يمكن بأية حال أن ينقلب العقل إلى حاكم على الله، بل يقتصر دوره على الفهم والإفهام والتمييز والإدراك، وكلّ ما في الأمر أنّ النفري يقدر الأمور تقديرين، الأوّل يرتكز على الوجه الواقعي للأشياء والكون وكلّ الظواهر المادية وما تبدّى منها للعيان وهذا يفضي إلى معرفة مخصوصة، والثاني يتمثّل في الوجه التصوري الإيحائي، فما انطبع في النفس نتيجة الوجه الأوّل، وما انعكس على الباطن من حقائق أولية، يحلّ في النفس ويصبح مصدراً مهماً ومفصلياً للتأمل والبحث في الحقيقة من خلال محمولات لغوية تحمل المعاني التي حلّت في النفس ويتمّ تبادلها باللغة بين باث ومتقبّل، أو ما يعبر عنه النفري بالمواقف والمخاطبات، أين يتمثّل القارئ أو الباحث باللغة المدوّنة المراد من منجز النصّ.

إنّ هذه الأسباب وغيرها هي التي دعتنا إلى دراسة هذا المبحث، وسنتوسّل بمنهج يتّسم بتتبّع النصوص النفرية في مضمونها وخصائصها ومقاصدها على اعتبار سياقاتها التاريخية والحضارية، وقد خصّصنا العنصر الأوّل من عملنا لدراسة هوية النصّ النفري باعتباره نصّاً يعالج طيّه العديد من المقاربات وأنماط الخطابات من دينية ورمزية ولغوية خاصّة، حيث نعتقد أنّ اللغة النفرية تُحيل على العديد من المرجعيات الروحية والنفسية والاجتماعية، باعتبار أنّ أيّ مجتمع يتطوّر بتطوّر أدواته وأسس وآلياته، واللغة إحدى هذه الأدوات أو قل هي إحدى هذه المقوّمات التي يميّز بها مجتمع عن سواه، وهي تدلّ دلالة جليّة على خصائص مجتمع معيّن وتميّزه عقلياً وفكرياً وحضارياً عن غيره من المجتمعات، ولعلّ كتابات النفري هي عبارة عن وثيقة سياسية وحضارية ولغوية تعكس روح عصره ومشاغله، أمّا العنصر الثاني فجعلناه قراءة في مصادر المتن النفري التي تُحيل على الديانات القديمة على غرار البوذية والزردشتية والمنوية، والكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، والقرآن والسنة، والأمثال، والكلام المأثور. وعلى هذا الأساس سننظر منهجياً وإبستمياً في مختلف هذه المقاربات ونعمل على معالجتها تباعاً.

I. النصّ النفري هُوية متحرّكة:

نعتقد أنّ المتن النفري نصّ متقلّب، وبنية منفتحة على العديد من القراءات والهويات، وبحث هادف غائي يسعى إلى سدّ الفجوات التاريخية والنفسية والروحية والرمزية، والغاية من ذلك في اعتقادنا هو إعلاء سلطة المنقول وتقديس المقدّس من ناحية، وترجمة البُعد الوجودي للإنسان باعتباره إنساناً يجسّد تركيبة مزجية تنوس بين الخير والشرّ، والصواب والإخفاق، والحيواني والمفارق من جهة ثانية، وقد ترجم النفري ذلك من خلال آثاره التي توحى بالوقف والوقوف، والرمز والترميز، والإيماء والإيحاء والمخاطبات، والنطق والصمت، وهي مقاربات تدلّ على أنّ بنية النصّ النفري بنية متلونة ومتحرّكة تحرك الإنسان وتلونه وتغيّره وفقاً لتغيّر المقامات والأنساق والبيئات التي تحيط بالمرء، لذلك دلّت هذه البنية خطابياً على مؤشرات إنسانية ورمزية ودينية ولغوية.

1.1. الخطاب الإنسي:

إنّ الذي يمكن أن نستخلصه من نصوص النفري، أنّ الرجل لم يكن مقلداً ولا مقتبساً، بل كان يمثّل نسيجا منفرداً في نظراته الخاصّة ومواقفه ومخاطباته وصمته ونطقه واصطلاحاته وأسلوبه اللغوي وطريقته الذاتية في المناجاة منهجاً ومتنا، وقد انتخبنا من ذلك مثلاً خطابه الوجداني العشقي الذي يعكس بُعداً إنسياً، إذ أنّ العشق عند النفري طقس يتطلّب سُنناً وشعائر في مقدّماتها الالتزام بالصمت، ودور المُحبّ وفق تمثله يعدّ في الصمت والنظر إلى الطلب لا غير، أمّا المحبوب فله الحرية أن يوجهه وجهة الطالب مثلما يريد هو، لا مثلما يريد المحبّ "ولا يمتدّ نظر المحبّ إلّا على وجه الحيرة"

1.

نعتقد أنّ حبّ النفري هو حيرة وقلق ومعاناة أو لا يكون، إنّه العشق الذي يتجاوز البعد الأنطولوجي لكي يترجم عن مكنون النفس في بعدها المغترب دينياً ووجودياً، إنّه شعور النفري في غربته النفسية وتقلّبات قلبه ومشاغله ذاته، وما يشدّه إلى أصول وجودية قد تكون طبيعية وقد تكون إلهية مفارقة، وبعبارة أخرى إنّ العشق النفري هو فناء المحبّ في سبيل المحبوب، وقد لا يحصل ذلك إلّا بإعدام الذات وحجبها عن المحبوب، واختزال كلّ المسافات والأضداد لأنّه "إذا امتدّ التقابل أثبت نظر المحبّ في وجد المحبّ ارتياحاً إلى المحبوب"².

ونفهم من خلال أطروحة الكاتب، أنّ العشق لا يمكن أن يستقيم إلّا إذا توفّرت عناصر الاغتراب والانفصام والذوبان، وهي مناخات وجودية تُحيل على إنسانية الإنسان، فالاغتراب حالة على ما يعيشه المتصوّف من عالم يختلف عن بقيّة العوالم الأخرى النمطية، فغربته غربة وجودية روحانية نفسية نتيجة شعوره بالعجز والمحدودية والمادية ومشاعر النقص، أمّا الانفصام فإنّه يحصل نتيجة السعي إلى التماهي بين الجسد الفاني الخائف من غضب الله

وعقابه إذا تناول وتجاهر، وبين الذات المتعالية السرمدية الأزلية التي هي بالمرصاد لهذا الجسد، ويبقى الذوبان الحلّ الوحيد أمام النفري للتعبير عن عشقه وصفائه والتحامه بالذات المفارقة، وهو شكل من أشكال العشق والتضحية، وأنبل درجات الصفاء والإخلاص للمحسوب

2.1. الخطاب الرمزي :

رمنّا من خلال الطقس النفري ومتمونه أن نتتبّع بعض النماذج التي تقودنا إلى تحديد شبكة من الدوال الموصولة بالعديد من الحقول الدلالية الرمزية في سعي منّا إلى محاولة تحديد الحيز المعرفي للسيمانيات المتقاطعة بين هذه الدوال الرمزية طيّ النصّ النفري، مثلما نروم أن نبين أنموذجاً نظرياً خالصاً يُحيل على بنية النصّ الصوفي الرمزية، ناهيك أنّ تحديد الدوال الرمزية يُعدّ في اعتقادنا أمراً مفصلياً في بُنى النصّ الصوفي، ومن أخصب هذه النصوص في تقديرنا نصّ النفري، هذه الاعتبارات جميعاً هي التي دعتنا إلى دراسة بعض الحقول المفهومية من خلال الجدول التالي:

المرجع	الدلالة الرمزية	المدلول	الدال
كتاب المواقف/موقف العزّ (1)، ص 61. ³ نفسه/موقف الأدب (9)، ص 81. نفسه/موقف محضر القدس الناطق، (63)، ص 169.	يقرّ النفري صراحة أنّه غير قادر على مجاورة الله ومداومته، فهو غير قادر أن يفعل ما فعله الحلاج قبله من اتّحاد إلى حدّ الانصهار، ويكتفي بمخاطبة الله ومحاورته، ويحافظ على هذه المسافة بينه وبين الله لأنّه لا يستوي الحادث والمحدث في اعتقاده، فالمجاورة دون رؤية عبادة، لكن إذا أفضت المجاورة إلى رؤية كانت غواية ووسوسة واستهزاء بالذات العليّة، والذي يهدف إليه النفري أنّ	"وأنا العزيز الذي لا تستطاع مجاورته، ولا ترام مداومته" "طلبك منّي وأنت لا تراني عبادة، وطلبك منّي وأنت تراني استهزاء". "إذا رأيّني وأردتني وتحقّقت بي، كانت المحادثة عندك وسوسة، وكان التعرّف عندك وسوسة".	المجاورة والمداومة

	الذات لا تتماثل والله وإن تقاطعت معه في التخلّق.		
الحجب	"الجهل حجاب الرؤية، والعلم حجاب الرؤية [...]" من عرف الحجاب أشرف على الكشف." "انظر بعين قلبك إلى قلبك، وانظر بقلبك كلّه إليّ، إذا رأيتني استوى الكشف والحجاب." "فعلك لا يُحيط بك، فكيف يحيط بي وأنت فعلي".	نستخلص من هذه النصوص أنّ أبرز المفاهيم المتواترة والمتقاطعة في الدلالات والتي تُحيل على عجز العقل عن إدراك الجوهر الإلهي تتمثل في الجهل، والعلم، والحجاب، والكشف بي وبك، أنا وأنت، إنّها ثنائيات تشي بالصراع من جهة، والتكامل من جهة ثانية، والتقاطع إلى حدّ المجاورة من ناحية أخرى، وهذه الشبكة المفهومية تُحيل على أنّ الوصول إلى تجاوز الحجب وهتك الحدود يقوم على استواء العلم والجهل، العلم بالذات والجهل بالحضرة الإلهية، ولا يمكن أن يحدث العلم إلّا بفهم الحجب وسبر أغوارها.	كتاب المواقف/موقف حجاب الرؤية (29)، ص116. نفسه/موقف استوى الكشف والحجاب (31)، ص118. نفسه/موقف البصيرة (32)، ص119.
ثنائية العلم والعمل	"العلم يدعو إلى العمل، والعمل يذكّر برّب العلم، فمن علم ولم يعمل فارقه العلم، ومن علم وعمل	لا يستقيم العلم دون عمل، لأنّ العمل بالعلم يمكن من فتح أبواب غير متناهية من المعرفة	كتاب المواقف/موقف المراتب (53)، ص149.

	لزمه العلم، ومن فارقه العلم لزمه الجهل وقاده إلى المهالك، ومن لزمه العلم فتح له أبواب المزيد منه".	اليقينية والكشفية، ورغم أنّ الإنسان هو أفضل المخلوقات وأسماءها عند الصوفية وبصورة خاصة عند النفري، فإنّ العقل يبقى عاجزاً ومحدوداً ومناخاته قاصرة، لأنّ طريق المعرفة هو العشق الربّاني، وحتى إذا كان للعقل دور في معرفة الأسرار الربّانية والنفحات الإلهية فإنّه يصل إلى ذلك بمنارة العلم والعمل وبهداية العشق.
العبودية	"السكينة أن تدخل إليّ من الباب الذي جاءك منه تعرّفي، وقال لي فتحت لكلّ عارف محقّ باباً إليّ، فلا أغلقه دونه، فمنه يدخل ومنه يخرج وهو سكينته التي لا تفارقه". "عبدى كلّ عبدى هو عبدى الفارغ من سواي، ولن يكون فارغاً من سواي حتى أوتيته من كلّ شيء، فإذا آتيته من كلّ شيء، أخذ إليه باليد التي	نعتقد أنّ النفري هو ذلك الرجل الروحي المتجاوز فردانيته، المعتنق للحرية الدّينية والعشقية في سماوات الحضرة الإلهية المفارقة لأحكام الدنيا والمنطق والسائد والحسّ، لذلك بحث عن السكينة والراحة الروحية من حيث أنّ الاختيار يتمثل في أن يأخذ ما يريد ويردّ ما يريد، وإذا خرج من مباحج الدنيا وملدّاتها رأى الله، وأكّد النفري أن الحالة

	العبادية لا تتحقق إلا في ظلّ تحقق الخوف والرجاء والإخلاص وهي من الشروط اللازمة للعبودية والعبادة.	أمرته أن يأخذ بها، وردّ إليّ باليد التي أمرته أن يردّ" "إذا كنت عبد الله لم يغب عنك الله، وإذا كنت منعوتاً بسوى الله غاب عنك الله، فإذا خرجت من النعت رأيت الله، فإن أقمت في النعت لم تر الله". "عبد خائف استمدّت عبدانيته من خوفه، عبد راج استمدّت عبدانيته من رجائه، عبد محبّ استمدّت عبدانيته من محبّته، عبد مخلص استمدّت عبدانيته من إخلاصه".	
الهجرة إلى اليقين كتاب المواقف/ موقف الإسلام (76)، ص201. نفسه/موقف الرفق (19)، ص103. كتاب المخاطبات/ مخاطبة (19)، ص236. نفسه/مخاطبة (34)، ص251.	إنّ الوصول إلى اليقين هو الطريق إلى الحقّ، والحقّ هو فقه أسرار القلب، ومن خزائن القلب عشق الله. إنّ بحث النفري المتواصل هو تعبير عن مدى قلقه الوجودي وحيرته الكونية، ولعلّه بهذا البحث في اليقين يحقق راحة نفسية نسبية، ويتفادى قلقاً ابستمياً يُرهقه،	"من فقه أمري فقد فقهه، ومن فقه رأي نفسه فما فقه". "الزم اليقين تقف في مقامي، والزم حسن الظنّ تسلك محجّتي، ومن سلك في محجّتي وصل إليّ، وقال لي اجتمع باسم اليقين على اليقين". "يا عبد القول الحقّ ما أثبتك في الوجد بي من كلّ قائل، فاعتبر الأقوال	

	بوجدك بي، واعتبروجدك بي باعراضك عن سواي". "يا عبد اكفني عينك، أكفك قلبك".	
ثنائية المعرفة والعبادة	"عرفوا حقّي فأسفرت لهم عظمتي عن عياني فخشعوا لعزّي، فأخبرهم عزّي بقربي وبعدي، فاستيقنوا قربي فأجهلهم بي قربي فرسخوا في معرفتي". "وإن جئتني بمعرفة أيّ معرفة، جئتك بكلّ الحجّة".	وهذا في الحقيقة له أثره في إغناء الفكر الإنساني وتطوّره.
كتاب المواقف/ الموقف بين يديه (55)، ص156. نفسه/الموقف بين يديه (55)، ص154.	إنّ القرب معرفة، وإنّ البعد معرفة، وبين القرب والبعد مسافة إذا فهمها العابد وعرفها كانت المعرفة الحقّ. إنّ العبادة الحقّ هي سليّة المعرفة الحقّ الموصولة بالتجربة الصوفية، وهي تجربة ذاتية تحيل على القلق الوجودي الذي يتبدّى خاصّة من خلال الوصل والفصل والدنيا والآخرة والسعادة والشقاء والحيرة والطمأنينة والمعرفة والعبادة، وهو ما يجعل من تجربة النّفري تجربة تنفتح على تجارب أخرى، مرتكزاتها اختبار الذات في صبرها وتأمّلها ومدى انخراطها في الإبداع إلى حدّ الذوبان والانصهار في المحبوب، كلّ ذلك يخدم ثنائية المعرفة والعبادة.	

البداية والنهاية	"يا عبد البداية حرف من النهاية، والنهاية آخر من غبت عنه، وأوّل من رأي". "بين ما قام بالقوّة، وبين ما قام بالقيومية فرق".	البداية والنهاية عند النفري تمثّلان لغة رمزية مخصوصة ومفهوما معجميا يشي بالدلالات والإحياءات، إن البداية والنهاية كلاهما مشحونتان بالكشف والذوق والفهم، فالرجل يؤثر الإشارة على العبارة والتلميح على التصريح، لكنّها تبقى في نهاية المطاف البداية التي لا تنفكّ تعبّر عن مخزون الإنسان إذ يتوسّل من خلالها النفري والمتمصّف بصفة عامّة إلى الحقّ المطلق والمشاهدة والمكاشفة وكسر الحجب والتجربة الخصبة التي ترقى إلى مصاف الحقّ بُغية الكمال، إنّه الإيغال في البحث والتألّه رغم القلق والحيرة والوجد.
الإسلام	"يا عبد إن لم تعرف من أنت مّي لم تستقر في معرفتي. يا عبد إن لم تستقر في معرفتي لم تدر كيف تعمل لي. يا عبد إن	إنّ الإسلام في مفهوم النفري أن يتخلّق المخلوق بأخلاق الله، والإسلام لا يمكن أن يكون دون أوامر ونواه لذلك مرتبة الصوفي موصولة بمدى استقراره
	المخاطبات/ مخاطبة (1) ص207. المواقف/ موقف الإسلام (76) ص201.	المخاطبات/ مخاطبة (37) ص255. المواقف/ موقف القوّة (70) ص186.

	عرفت من أنت مّي كنت من أهل المراتب". "إن أتيت به كما أمرتك فقولني وفعلي، وبقولني وفعلي يقع حُكي، وإن أتيت به كما لم أمرك به فقولك وفعلك، وبقولك وفعلك لا يقع حُكي ولا يكون ديني وحدودي".	
النطق والصمت	"الواقف ينطق ويصمت على حكم واحد". "وقال لي حكومة الواقف صمته، وحكومة العارف نطقه، وحكومة العالم علمه" "وقال لي إذا تكلمت فتكلم، وإذا صمت فاصمت". "فرقانك الذي فرقت به بين الصمت والنطق". "وصمت ما له فكر، ونطق ما له حرف". "يا عبد أنا الناطق وما نطقي النطق".	لا يروم النفري مجاورة الله مثلما لا يسعى إلى مداومته، فإنّه يكتفي بمخاطبة الله ومحاورته ويحافظ على هذه المسافة بين النطق والصمت بينه وبين ربّه، إنّ دلالات الصمت قد تكون الإقرار بالعجز والنقص والقصور في الفهم واستيعاب ما يمكن هضمه من أشياء تتجاوز عقل الإنسان على نحو إدراك الجوهر الإلهي. وقد يكون الصمت تعبيراً عن الانهيار والدهشة والخشية والخوف من المصير. وقد يكون مثله مثل النطق موقفاً من كلّ ما توصّل إليه النفري من
المواقف/موقف الوقفة (8) ص74. نفسه/موقف الوقفة (8) ص80. نفسه/موقف الاختيار (50) ص144. كتاب النطق والصمت، ص.ص 75-76. نفسه، ص108. كتاب المخاطبات/ مخاطبة (1) ص206.		

		حقائق وعجائب. وقد يكون الصمت حقلاً مفهوماً ابستيمياً يُحيل على التفكّر والتأمل والمراجعة وسبر أغوار النفس والجوهر الربّاني والوجود.	
اعرف نفسك	"يا عبد إن عرفت من أنت متي، كنت من أهل المراتب". "يا عبد إن لم تدر من أنت متي، فما أنا منك ولا أنت متي". "وقال لي اكتب من أنت لتعرف من أنت، فإن لم تعرف من أنت، فما أنت من أهل معرفتي".	إذا عرفت نفسك عرفت ربك، وإذا عرفت ربك فهي بداية الطريق لمعرفة نفسك، من خلال هذه التصورات الروحية المختزنة أو التي يستبطنها النفري ويسعى إلى تحويلها بفضل مجاهدة نفسية إلى أمر واقع، حتّى تصير هذه التصورات عبارة عن وظائف تولّد محمولات رمزية خاصة به، فإنّ النفري يسكنها وتسكنه لا لشيء إلاّ لأنّها ذات أصول روحانية.	المخاطبات/ مخاطبة (1) ص207. نفسه/ مخاطبة (14) ص226. المواقف/ موقف الأمر (14) ص94.
الوقفّة	"الوقفّة تشهد على المعرفة، وإرادة الحقّ تشهد على الوقفة". "وقال لي الوقفة ينبوع العلم، فمن وقف كان علمه تلقاء نفسه، ومن	الواقف هو المنتظر الذي يأمل في أن يصل إلى المنتظر، إنّها من المقامات الروحانية والغيبية التي يعانقها النفري، ويصبو إلى أن يحقق انشداداً بين	كتاب النطق والصمت، ص49. المواقف/ موقف الوقفة (8) ص74. نفسه/ موقف الوقفة (8) ص76.

نفسه/ موقف الوقفه (8) ص77.	عالمي الشهادة والغيب دون حجب أو ستر. والواقف يصبح عبارة عن وَقَفَ لله أي ملكا من أَملاكه يتصرّف فيه وفق شروط الوَقَف، لذلك لا يصحّ النطق عند الواقف فدوره يتمثّل في الصمت لا غير "من رأي لا ينطق" فغياب النطق هو تغييب الكلام، وفي تغييبه إلزام بالصمت الذي يشي بصدق الوقفة والتأمّل والتشوّق والصبر والعق.	لم يقف كان علمه عند غيره". "كلّ واقف عارف، وما كلّ عارف واقف". "وقال لي يموت جسم الواقف، ولا يموت قلبه".	
كتاب المواقف/ موقف ما لا ينقال (34) ص123. نفسه/ موقف المحضر والحرف (67) ص176. المخاطبات/ مخاطبة (53) ص271.	يبقى الحرف في مفهوم النفري حاجزا وحاجبا من الحواجب التي تحدّ من فهمه للأشياء والتعمّق في كنهها وسبر أغوارها، يحيط به ما دام في رحلته غير المتناهية. إنّ الحرف ترجمان الباطن وترجمان المفارق في آن، يقوم على اختراق لغة الظاهر وتجاوزها، وقد تكون لغة الوجد الداخلي، لغة للحجب والتعمية، فالحرف هو نسيج الأنا بين المقدّس	"الحرف يعجز أن يخبر عن نفسه، فكيف يخبر عني". "الحرف حجاب، والحجاب حرف". "يا عبد الحرف ناري، الحرف قدري، الحرف حتي من أمري، الحرف خزانة سري".	الحرف

	والدنيوي، وبين المطلق والنسي، وبين الكلمة والحرف.		
الظاهر والباطن	"العلم لسان الظاهر، والمعرفة لسان الباطن، والظاهر حدّ الصفة، والباطن حدّ القلب، والظاهر حجاب، والقلب حجاب، والحجاب لا يحمل الكشف ولا يقوم له".	يربط النفري الظاهر بإمكانية معرفته من خلال آلية العلم، أمّا الباطن فلسانه المعرفة، وهي قراءة تُحيل على أنّ النفري يفصل بين الظاهر الممكن والباطن المحجب، والأمر ذاته بين العلم والمعرفة، فالنفري قد يصل إلى أن يعلم الظاهر ولكن يعجز عجزا مطلقا عن معرفة الباطن، فالظاهر للكشف والباطن للحجب، والعلم ظاهر والمعرفة باطن، إنّها من أصعب المعادلات التي يسعى النفري إلى تحقيقها لكنّ الوصول إليها محال.	كتاب النطق والصمت، ص41.
رحلة المسافات	"يا عبد إذا كنت بي فلا يسعك المكان، وإذا نطقت بي لم يسعك النطق". "يا عبد شيء كان، وشيء يكون، وشيء لا يكون، فشيء كان حيّ لك، وشيء يكون تراني، وشيء	لا تتوقّف رحلة النفري، ومسافاتها تقصر وتطول في المكان والزمان وفي النطق والصمت وفي المعرفة والعلم وفي الحجاب والكشف، وهي مسافات "تصنع قريبا لا وجود له، وبُعدا لا أصل	المخاطبات/مخاطبة (23) ص241. نفسه/ مخاطبة (7) ص217. كتاب المواقف/ موقف كدت لا أؤاخذه (26) ص114.

كتاب النطق والصمت، ص57.	في إلغائه، أنت القريب البعيد بلا مسافة، فاسمح لنا نتحرّك في مسافة حواليك إليك ⁴ .	لا يكون لا تعرفني معرفة أبداً". "وقال لي حجابي البلاء وحجابك البلاء، حرق حجابي حجابك فأزاله الحرق، فخرجت من بلائك إلى بلائي". "قريب فلا ينقال قريبه، وبعيد فلا ينقال بعده، وظاهر فلا يدرك ظهوره، وباطن فلا يكشف حجابه".
-------------------------------	---	--

والذي نخرج به من هذا الجدول هو أنّ شخصية النفري شخصية ملغزة، وأنّ نصوصه نصوص متداخلة متقاطعة وممرزة من حيث الدال والمدلول، لذلك كان لا بدّ من أن نفهم بُنى هذه النصوص، وأنّ نسبر أبعادها الذهنية المرتبطة بالعديد من الخلفيات النفسية والروحانية، ولا يمكن أن نقف على ذلك بسهولة ما لم نلج بواطن علائقه مع ذاته ثمّ علاقته بالآخر والمحيط والكون، مثلما نقف على علاقته بالمجهول والمفارق عامّة، وقد تنزّل جماع ذلك في علاقة مخصصة بالعديد من المحمولات الرمزية في عالم يخالف العالم السائد النمطي، عالم يمثل تجربة ذاتية يعيشها صاحبها لكن لا يمكن له أن يصدرها إلى الآخر.

لعلّ هذا التوجّه في التفسير والتبرير والاعتقاد في المتصوّف الرامز والمرموز إليه في توصيفه من خلال ما يقيمه من علائق، يفسّر انعكاساً جلياً وواضحاً في ذهن النفري لواقع ضعف قدراته وأعجزه إزاء ظواهر النفس البشرية في تباين تجلّياتها ومواقفها وقلقها، هذا على مستوى الإنسان، أمّا على مستوى الكون وما يحفّ به من خوارق وخواف، فإنّ النفري يعجز عن تحليلها، فيكون إدراكه للإنسان والكون نتيجة للقصور الذي يلمسه في قواه إزاء كلّ ما يحفّ به.

والذي نستخلصه أنّ النفري يميل عن غير قصد ظاهر إلى اختلاق أسباب للحوادث والأشياء التي يدركها أو يتدكّرها، وإلى إيجاد دوافع أو مبررات للسلوك الذي يراه أو يسترجعه، وهو ميل يبدو لدى الإنسان منذ طفولته، إذ يسرف في السؤال والبحث والاستفسار عن أسباب الوجود وكيونة الكائن وإشكالية المصير وأسباب الظواهر الكونية ومختلف الأحداث والتقلّبات

السلوكية للإنسان من حيث البحث في وظائفها وأدوارها ومنشئها ومصيرها، ولا يهنا له بال إلا إذا وجد أسباباً لذلك، أو اختلق من عنده أحياناً أسباباً للتفسير والتبرير والتعليل حتى يطمئن قلبه ويهدأ فكره، وهو ما حاول أن يتوجّسه النفري بأسلوبه، تارة تصريحاً وطوراً في أشكال محمولات رمزية، تبدّت لنا من خلال هذا الجدول ومختلف آثاره.

3.1 الخطاب الديني :

إن تواتر مصطلح "الوقفة" واللازمة "أوقفني" وتردد بنية نصّ النفري بين "النطق" و"الصمت" وتعدّد الشحنات النفسية التي تُحيل على "التخاطب" و"المخاطبة" طي آثاره⁵، كلّ هذا يجعلنا نرصد مادة ثرية تعكس هذا البُعد الروحي والخطاب الديني، فالوقفة مصطلح نفري مخصوص "وراء البعد والقرب الوقفة، وراء ما يقال الوقفة تعرف كلّ حرف، الوقفة نار الكون، والمعرفة نور الكون"⁶.

أمّا ثنائية النطق والصمت وفق منهج النفري وسمات خطابه، فإنّ هذه الثنائية هي أسّ المحادثة مع المتعالى المفارق، ومع الذات في تركيبها المزجية الظاهر والباطن، ومع الآخر في تعدّده وتنوّعه وتناقضاته ف"لا تصحّ المحادثة إلاّ بين ناطق وصامت"⁷، وكأنّ العابد لا اختيار له، لأنّ قلبه وقف على الله وملك له، فالقلب "في يد الربّ ولسان القلب يتكلم في المقام بين يدي الربّ"⁸.

إنّ النطق وكذا الأمر بالنسبة إلى الصمت، يمثلان تجربة وجودية تنوس بين لحظة البوح، ولحظة الاستبطان والحجب لذلك قال: "عزمك على الصمت في رؤية حجة، فكيف على الكلام"⁹. مثلما تبين لنا من خلال المخاطبات النفرية أنّها موصولة بمدى قرب المناجي وبعده من الذات الربانية، ومن كينونته، ومن الآخر، ومن الوجود عامة "قربك لا هو بعدك، وبعده لا هو قربك، وأنا القريب البعيد قرباً هو البعد وبعداً هو القريب"¹⁰.

لقد تبدّت لنا مخاطبات النفري التي بلغت سبعا وخمسين مخاطبة هي عبارة عن ابتهالات ومناجاة تترجم قلق الإنسان وخوفه من وجوده ومصيره ومآله، إنّها رحلة الإنسان القلقة المرتبكة بين معرفة الذات والشوق إلى معرفة الوجود وما وراء هذا الوجود، إنّ حضور هذه الشبكة من الدوال على غرار النطق والصمت والوقف والمخاطبة، الفاصلة حيناً والواصلة أحياناً أخرى تترجم عمق الخطاب الديني النفري.

4.1 الخطاب اللغوي :

يعدّ المتن النفري نصّاً فنياً وشاعرياً ولغوياً بامتياز، إذ يعكس عمق اللغة في تحولاتها الدلالية من حيث عمومية اللفظ واتساعه واتساع أفق العبارة والدلالة والكلمة المفردة وتداخل التراكيب بين الحقيقة والمجاز والظاهر والضاير والمنطوق والمسكوت عنه والجلي والرازم.

إنّ مقاربتنا اللغوية للنصّ النفري هي محاولة بُغية فهم النصّ الصوفي بطريقة أكثر جلاء وسبر أغواره والإيغال في عتمته ومداخله الضيقة، ولا ريب في أنّ ما يُشكّل جوهر النصّ وبنيته هو النسيج اللغوي المتكوّن من الدّوال والمدلولات، ومن تلك المشاكل ما يرصده الباحث بين اللفظ ومعناه، نظراً إلى التداخل الحاصل بين الإدراك والتذكر والفهم والاستنباط، وبناءً على التقاطع الواقع بين اللغة والمقام والسياق، ونتيجة للتفاعل بين المعنى الظاهر ومعنى المعنى، وهذا ما يفسّر لنا اختلاف الرؤى في شأن إشكالية اللغة ما بين مناهج وصفية وتاريخية وتقليدية وتحولية.¹¹

إنّ اللغة النفرية لغة مخصوصة، تتسم بالإيقاع والشعرية، مشحونة بالعديد من الإيماءات والإيحاءات والقراءات، مما يجعلها لغة تُحيل على العديد من التحولات الدلالية على غرار كلمة الصلاة وإن كانت تعني الدعاء، فإنّها أفضت إلى حقل دلالي جديد بعد الإسلام وأصبحت تعني طقساً عبادياً مخصوصاً، وكلمة عين وإن كانت هي الجارحة وعين الماء والجاسوس والشريف في قومه، فإنّها نُقلت من حقل دلالي إلى آخر فأصبحت تعني حكماً شرعياً يتمثل في فرض العين في المعجم الإسلامي، أمّا التكرار عند النفري فإنّ قصديته التنفيس والتوكيد على الإفهام ومزيد التوضيح والتفسير، أمّا ثنائية الظاهر والباطن التي عبّر عنها النفري بالعديد من المفردات على غرار الرّوح والروح والريحان فإنّها ثنائية تترجم الباطن باعتباره الأسرار والجواهر وهي الحقائق التي قد يتضمّنّها النصّ النفري من حيث هو مضمون، أمّا الظاهر فهو اللغة التي يظهر بها النصّ لإفهامنا ومحاولة إقناعنا.

ويبدو أنّ اللغة عند النفري هي وسيلة أوليّة ومركزيّة في التواصل والوجود والاستمرارية بين المرسل والمرسل إليه، لذلك توصل بالحرف وسلطة الكلمة خاصة من خلال الشعر والإيقاع والسجع والحكمة ورقّة اللفظ ورونق التعبير وسلاسة الصياغة وبلاغة الأسلوب واصطفاء المعجم، وهي كلّها من الحقول والأشكال التي وظّفها النفري وأضفى عليها مسحة روحية وعشقية، تمثّلها أحسن تمثّل حتى يتحرّر من ذاته وينعتق من المقدّس "السويّ كلّ حرف، والحرف كلّ سويّ"¹².

وقد نجد صدى لهذا الأسلوب النفري في متون مُحيي الدّين بن عربي (ت638هـ) على نحو فتوحاته ورسائله وقد نسب إليه الطريقة "الواقفية" نسبة إلى "مقام الوقفة"، كان هذا من القدامى. أمّا المحدثون الذين تأثروا بالنفري واقتبسوا منه العديد من الصور والدلالات الأسلوبية وخصوبة الخيال وزجالة العبارة ودقّة الاختزال والتلاعب باللغة بشكل مبدع، فإنّنا نجد منهم علي أحمد سعيد (أدونيس) الذي كان له السبق في التعريف بنصوص النفري في حقول الشعر خاصّة.

لقد استبان لنا من المتن النفري أنّ الرجل يجمع بين العديد من الأساليب والحقول الدلالية والخطابات والمقامات التي تجمع بين الأناسة والرمز والألسنية والبُعد الروحي والوجداني، مما يُحيل على عمق نصّه وتلوّن بنيته وتحرك هُويته، وهو ما يفيد أنّ تركيبة نصّ النفري متعدّدة المصادر ومتنوّعة الرؤى تجيب عن أسئلة تاريخية ووجودية حارقة، سواء كان ذلك على مستوى البُعد الفنّي والجمالي أو السياسي والاجتماعي أو القيمي والفلسفي أو الإبستيمي، وهو ما سنحاول أن نبحث فيه من خلال المقاربة الثانية التي تتناول المتن النفري وروافده وأبرز مصادره.

II. -قراءة في مصادر المتن النفري :

لقد تمكّنا في هذا المبحث من رصد ملامح صورة التصوف النفري وأبرز مرتكزات المقامات الصوفية، والوقوف على بعض المرجعيات الذهنية والدّينية والرمزية وبعض القبسات الفلسفية التي ينطلق منها النفري على غرار الديانات القديمة مثل الزردشتية والبوذية والمنوية، ونصوص الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، ومختلف الاقتباسات القرآنية والسنيّة. والملاحظ أنّ النفري إذا كان قد استقى الكثير من المضامين والمعاني من التراث الإسلامي، - ممّا يُحيلنا على ثقافة واسعة كان يتمثلها من قرآن وسنة وأقوال مأثورة وحكم وأقوال السلف وطرائقهم الروحية- فإنّ هذا الأسلوب يدلّ على أنّ الرجل لم يجانب ما أقبل عليه سلفه وخلفه من تضمين من النصّ القرآني، عساهم من خلال هذا الاقتباس أن يضيفوا شيئاً من الشرعية والقدسية على ما يقولون ويكتبون ويناجون ويدعون إليه.

إنّ المتأمل في هذه السندات، يستخلص الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي تشي بالعمق العربي والإسلامي والمحمولات التراثية على غرار الولاية والصّحبة والمعرفة والمجاورة والمُخاطبة والغيبة والمداومة والعبادة والمحادثة والسفارة والوسوسة والحجاب والكشف والملازمة والعشق والعبودية والإمامة والسكينة والرجاء والحبّ والهجرة واليقين والمحجّة والوجد والوقفه والباطن والظاهر والبلاء والحرف والحرق والمجاهدة والقيومية والعزّ والهوت والعبادية، وغير ذلك من الملفوظات والمصطلحات والدوال المتواترة في المتون النفرية التي تُحيل على أنساق فكرية وتراثية مخصصة.

وباستقراء بعض كتابات النفري نلاحظ أنّ الرجل لم يكتف في إمداداته باستقراء التراث العربي والإسلامي والنصّ القرآني والحديث النبوي فقط، بل حاول أن يستثمر تراث الأمم الأخرى ومقارباتهم وأفكارهم وطقوسهم، وأن يغترف من العديد من المصادر والمراجع بشيء من النظر العميق والتحليل الذاتي والدربة الشخصية والمجاهدة الروحية، ويتوسل بفضل هذه العُدّة البنيوية والمفهومية إلى التعبير عن العديد من المقاربات والمضامين والأفكار التي تترجم بُعداً بوذياً أو هندياً أو منوياً أو زردشتياً أو يهودياً أو نصرانياً، ولعلّ هذه الروافد والمسافات

والمناخات المتباينة حيناً، والمتقاطعة أحياناً أخرى، تعود إلى الظروف السياسية والاجتماعية والذهنية والبيئة العراقية التي نشأ فيها النفري.

إنّ الوقوف على المعجم النفري وما يشي به من مضامين وأفكار ومقاربات وثنائيات مثل المواقف والمخاطبات والنطق والصمت والكشف والحجب والسرّ والعلن والدنيا والآخرة والشهادة والغيب، تُحيل على أنّ الرجل قد يكون متأثر بالتراث المنوي، خاصة منوية بابل، فالإثنين من خير وشرّ وفضيلة ورذيلة ونور وظلام وبداية ونهاية وولادة وموت، هي أركان النصّ النفري.

ثمّ ألا يُحيلنا حديث النفري عن المجاهدة الروحية والرياضة النفسية والشوق إلى المفارق والتوق إلى المطلق والبحث في المجهول على التراث الهندي، وكذا الأمر نجده في التراث البوذي والصيني، فالمجاهدة حاضرة في التصوف الهندي بغية الوصول إلى "لبراهما"، وهذا السعي نجده في البوذية أيضاً فهدف البوذي الوصول إلى حالة "الزفانا" طلباً للسعادة والانتشاء والحبّ، ولا يكون ذلك إلّا من خلال التنفيس والمجاهدة بغية الخلوّ من معاناة الدنيا وشقائها.

ونعتقد أنّ النفري وظّف كلّ هذه السندات المرجعية المحليّة والوافدة، بغية أن يجسّد مرحلة ينشدها ولا يحققها مهما أوتي من قدرة واعتداد وعُدّة، إنّها المسافة الهائلة التي تفصل النفري عن الله، إنّّه الصوفي العاجز الذي يتوق إلى المعرفة والعلم ومعانقة المطلق، غير أنّه غير قادر على أن يحقق ذلك "وقال لي: الجهل حجاب الحجب، وحاجب الحجاب، وليس بعد الجهل حجاب ولا حاجب"¹³، ومن الطبيعي جدّاً أنّه من أكبر هذه الحدود في تقدير النفري الجهل في مطلقه، وبصفة خاصة الجهل بمعرفة الله.

وبناءً عليه، فإنّنا نستخلص أنّ النفري حاول من خلال مصادره أن يتوسل إلى إثبات حقيقة التخاطب والوقف والمعرفة والفناء في لغة مخصوصة وأسلوب خاص به، مشيراً إلى أنّ ذلك يُعدّ أساساً متميزاً في نصّه الذي يفضي إلى مواقف من النفس ومن الآخر ومن الله، ولا يكتفي الرجل بمجرد المخاطبات المتبادلة بينه وبين نفسه، وبينه وبين الآخر، وبينه وبين الله في مرحلة أولى، بل إنّ هذه المخاطبات لا قيمة لها إذا لم تتحوّل إلى بُعد وجودي يُبنى على ضوء تداعيات الوقفة التي يمكن أن يتبنّاها المخاطب من المخاطب، ولعلّ هذه الأطروحات تُحيل على أنّ النفري وإن انتهى إلى مدرسة الحلاج، فإنّه يختلف معه في المواقف، فلم يقل بحلول اللاهوت في الناسوت، ولم يقل بالاتحاد بالله مثلما قال بذلك الحلاج ومن سبقه من أعلام الصوفية. مثلما قد يُفضي هذا الطرح إلى حقول دلالية ومفهومية أخرى تجانب ما ذهب إليه الحلاج وغيره من المتصوّفة، وهي حقول موصولة بما يعتقد النفري نفسه من أنّ هذه المواقف هي في الأخير ووقفات أمام الله الذي قد يكون معه وفق أحواله ومقاماته من جهة، ومن ناحية ثانية

هذه المواقف من الله هي استجابة للخطابات التي تجول في ذهن النفري، فتتقاطع المواقف مثلما تتقاطع المخاطبات وتؤدي إلى نتيجة واحدة هي انعدام التمايز بينه وبين الله. وباستقراء مواقف النفري، نلاحظ أنّ الوقفة جوهر فلسفته الصوفية الذوقية باعتبارها "مقاماً فوق المعرفة، وكانت المعرفة فوق العلم، فإنّ الواقف أقرب إلى الله من العارف ومن العالم"¹⁴.

والذي انتهينا إليه هو أن الوقفات: تبدأ بالمعرفة ← تنتهي بالشعور بالفناء
من الفناء ← الوجود أو البقاء
يخلف البقاء ← الفناء

الوقفة الكاملة

الوقفة التي ينكشف فيها الغطاء (الكشف)

ويمكن أن نستخلص من هذه المقدمات، أنّ المخاطبات تتجاوز الحجب إلى مسافة الكشف والتعلّم والمعرفة، وإن بقي خيط ناظم بين النفري وربّه، لكن لا يصل إلى ما وصل إليه الحلّاج، هو الله أنا، وأنا الله، هو الإله الإنساني الذي حلّت فيه روح الله، بينما النفري يجسّد هذه المقولة من خلال المخاطبات واللغة والبعد الرمزي، وهي من الحقول الدلالية التي تفضي إلى مواقف من النفس والوجود والمفارق دون انصهار الله في الإنسان، أو الإنسان في الله، فهذه المخاطبات هي عبارة عن حوارات ومواقف تفضي حيناً إلى النطق، وفي أغلب الأحيان إلى الصمت ممّا يدلّ على أنّه ليس "للمرّمز وجود واقعي كجزء من العالم المادي، وإنّما له "معنى"¹⁵ لا غير.

وتبدو الصورة متكاملة في مخيلة النفري إذ ينطلق منهجياً من المخاطبات، فالمواقف، ثمّ النطق، وينتهي بالصمت، فوقفة الإنسان في اعتقاده تكمن في أن يتجاوز الحجاب القائم بينه وبين الله، وقتنذ تحصل المعرفة، هذه المعرفة تفضي إلى المواقف من جديد، لكن إذا أراد النفري أن يحقّق هذا التسلسل وجب عليه أن يلتزم الصمت والمجاهدة، وأن يهضم كلّ هذه المقاربات، ولا يمكن أن يحصل ذلك، إلّا إذا كان المتكلّم واحداً هو الله، فالله يتكلّم والنفري يصمت بكلّ معاني الصمت "وقال لي: حكومة الواقف صمته، وحكومة العارف نطقه، وحكومة العالم علمه"¹⁶.

ووفق اطلاعنا على كتابات النفري فإنّنا نستخلص أنّها تتسم بمسلك توحيدي عرفاني عال يتأتّى من السكون والمعرفة الروحية والتأمل الذاتي والأحوال والمقامات وخاصة حرفية الحرف، ولعلّ الحرف في علاقته العضوية بالكلمة هو شبيه بتواصل الإنسان بالوجود والكون والذات

الخارقة، وقد نجد تفسيراً لذلك من خلال المرجعية اليهودية والنصرانية إذ قال يسوع "أنا الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية"¹⁷، وجاء في إنجيل يوحنا "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة هو الله"¹⁸.

إنّ اللغة نظام رمزي يربط بين عالَمين، العالم الأرضي والعالم المُفارق، أو العالم النفسي والعالم المتخيل المرموز، فاللغة هي الوسيط الاستراتيجي الأول عند النفري في تعامل الذات مع الآخر ومع المتعالي، ويمكن أن نقول إنّ مهمتها تتمثل في إيصال التجربة الذاتية وتوصيفها إلى الآخر مطلقاً مادياً أو ميتافيزيقياً¹⁹.

لقد استخدم النفري اللغة استخداماً متميزاً من حيث الألفاظ والعبارات والأسلوب والحقول المعجمية فتواترت ضمائر المخاطبة مثل (أنا-أنت-هو) و (أنا-هو) و (هو-أنا) و (أنت-هو) و (هو-أنت)²⁰، ممّا يشي بقلب الأدوار بين الرائي والمرئي، أو يمكن أن نعبر عن ذلك بتقاطع الوظائف وتداخلها، أو الانتقال من حالة إلى أخرى بين المخاطب والمتكلّم أو بين الرائي والمحبوب "وقال لي: الحقيقة وصف الحقّ والحقّ أنا"²¹.

لقد استبان لنا من هذه الشواهد والمقدمات المنهجية، أنّ خطاب النفري خطاب يتسم بالتنوع والتلون في تدينّه ومخياله ورمزيته وألسنيته ولغته وفنياته ومعجمه، وأنّ بنية متونه تُحيل على عجز الإنسان وقلقه وقصوره وحيرته حيناً، وانتصاره أحياناً أخرى، ويتبدى قصور النفري في عدم تحقيق هذا الجمع بين هذه الثنائيات أولاً، وعجزه عن تقريب الشقة بين هذه المتناقضات الصارخة ثانياً، إنّها جملة من الإكراهات تقف حائلاً بين عجز الكائن البشري وتوق الإنسان إلى البحث عن الحقيقة المطلقة التي حاول أن يرصدها النفري بفضل مخاطباته التي أسسها بصرف النظر عن أصولها وروافدها.

خاتمة:

نعتقد أنّ النفري عبّر عن فكرة مركزيّة في الكتابات الصوفية تتمثل في الترابط بين الذات البشرية والذات المتعالية، وقد نفهم من هذا الترابط ما يريد أن يشي به النفري من علاقة قلقة يسودها التيه والضيق إلى حدّ الضلال بين المخلوق والخالق وبين الأرضي والسمائي وبين الدنيوي والمقدّس وبين الوجود والخلق وبين المطلق والنسبي وبين المخاطبة والصمت، إنّها مأساة الإنسان التي يسترها النفري بشاعريته وروحانيته المبالغ فيهما، تتويجاً لأطروحة يتوسّل من خلالها الكاتب للتدليل على هذا الترابط بين الذات الإلهية والوهية الذات البشرية.

وقياساً على ذلك يمكن أن نفهم أنّ مصير الإنسان وعلاقته بالمتعالي وأصناف عذابه في سبيل البحث في الحقّ المطلق ونهاية العالم والغد المجهول، كانت من الموضوعات التي أثارت اهتمام النفري، كما أنّها كانت تقريباً من الأفكار الأساسية التي ارتكزت عليها جلّ الفلسفات الصوفية، رغم تميّز النفري بخصوصيات معجمية وأسلوبية ومنهجية.

إنّ دراستنا للنصّ النفري تفضي بنا إلى جملة من النتائج الموصولة بالمنهج ونوعية الخطاب ومآلاته وطرائق فهمه، يضاف إلى ذلك الوقوف على أبرز المناخات التي تشكّل بنية النصّ النفري وتقلباته وتقابلاته ومواصفات هويته، ومن خلال اطلعنا على المتن النفري نستخلص أنّه اختلط فيه تصوّف بالأفكار الفلسفية وبدأت نظريات الحلول والفناء ووحدة الوجود، إلى غير ذلك من المقاربات الفارسية والبوذية والهندية واليهودية والنصرانية، ممّا حدا بالمستشرق نيكلسون (Nicholson) أن يذهب إلى "أنّ أثر المسيحية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة البوذية عوامل لا سبيل إلى إنكارها في تكوين تصوّف الإسلامي"²²، لكن السمة المميزة للنفري في متونه تتمثل في توفيقه بين النظر والاستدلال من جهة، والرياضة والمجاهدة واستنطاق باطن النفس وهمس الروح وأبجديات القلب من ناحية أخرى، مثلما تفضي بنا هذه الدراسة إلى جملة من الأسئلة أبرزها:

هل إنّ المنهج عند النفري هو ذاته ما يشاع بين الصوفية والفلسفات الدينيّة الأخرى التي تحمل مضامين أكبر من مدلوله الإطلاقي؟ هل الحرف عنده إذحالة على الحروف المقطّعة الواردة في عتبات بعض السور القرآنية على نحو ما ذهب إليه سهل بن عبد الله التستري (ت 283 هـ) الذي ألّف رسائل وكتابات في أسرار الحروف ومعانيها؟ أو أنّ الحرف عند النفري هو البنية في معناها الظاهر باعتبارها لا تستقيم دون حرف، وأنّ الحرف هو أصل الكلمة؟ أو أنّ النفري يبقى سجين اللغة والعبارة لا غير، ولا يمكن له الخلاص إلّا إذا تدخّلت يد الله وعبارته ولغته المفارقة، لذلك كانت عبارته الشهيرة والمتواترة "كلّما اتّسعت الرؤية ضاقت العبارة"²³.

الهوامش:

- ¹ - محمد بن عبد الجبار بن الحسن البصري النفري، (2001)، كتاب النطق والصمت، تحقيق قاسم محمد عبّاس وتقديمه، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، ص26.
- ² - نفسه، ص28.
- ³ - النفري، (1985)، المواقف والمخاطبات، تحقيق آرثر آربري، تقديم عبد القادر محمود وتعليقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، مصر.
- ⁴ - يحيى الرخاوي وإيهاب الخراط، (2000)، مواقف النفري بين التفسير والاستلزام، جمعية الطبّ النفسي التطوّري والعمل الجماعي، ط1، القاهرة، مصر، ص40.
- ⁵ - انظر، كُتب النفري النطق والصمت، والمواقف والمخاطبات، التي تُحيل على هذه المفاهيم والمصطلحات.
- ⁶ - المواقف، موقف الوقفة (8) ص.ص 79-80.
- ⁷ - المخاطبات، مخاطبة (28)، ص247.
- ⁸ - نفسه، مخاطبة (23)، ص240.
- ⁹ - المواقف، موقف ما تصنع بالمسألة (28)، ص116.
- ¹⁰ - نفسه، موقف القرب (2)، ص67.

- ¹¹ -انظر، عبد القادر الفاسي الفهري، (1985)، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، ط1، الدر البيضاء المغرب.
- ¹² -المواقف، موقف بين يديه (55) ص152.
- ¹³ -المواقف، موقف الليل (62) ص167.
- ¹⁴ -مقدمة كتاب المواقف والمخاطبات، ص22.
- ¹⁵ -أرنست كاسيرار، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة إحسان عباس، مراجعة محمد يوسف نجم، دار الأندلس، ط1، بيروت، لبنان، ومؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، نيويورك، 1961، صص 115-116.
- ¹⁶ -المواقف، موقف الوقفة (8) ص80.
- ¹⁷ -الرؤيا، 13:22.
- ¹⁸ -يوحنا، 1:1.
- ¹⁹ -Pour en savoir plus, Voir : Mircea Eliade, Images et symboles, essais sur le symbolisme, magico-religieux, éd. Gallimard, 1952, Renouvelé en 1980, premier chapitre : Symbolisme du « centre » P : 33.
- ²⁰ -انظر، المواقف، موقف الصفح والكرم (69) ص185 وما بعدها.
- ²¹ - نفسه، موقف أنت معنى الكون (4) ص70.
- ²² -رينولد ألين نيكسلون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 1947، ص72.
- ²³ -المواقف، موقف ما تصنع بالمسألة (28) ص115.

المراجع

- النفري، محمد بن عبد الجبار بن الحسن البصري، (2001)، كتاب النطق والصمت تحقيق قاسم محمد عباس وتقديمه أمانة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن.
- المواقف والمخاطبات، (1985)، تحقيق آرثر آربري، تقديم عبد القادر محمود وتعليقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، مصر.
- كاسيرار، أرنست، (1961)، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة إحسان عباس، مراجعة محمد يوسف نجم، دار الأندلس، ط1، بيروت، لبنان، ومؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، نيويورك.
- الزركلي، خير الدين، (2002)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان.
- نيكسلون، رينولد ألين، (1974)، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، القاهرة، مصر.
- الفهري، عبد القادر الفاسي، (1985)، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، ط1، الدر البيضاء المغرب.
- الكتاب المقدس، (1996)، جي سي سنتر، ط6، مصر الجديدة، القاهرة.
- الرخاوي، يحيى، الخراط، إيهاب، (2000) مواقف النَّفْري بين التفسير والاستلزام، جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي، ط1، القاهرة، مصر.

Mircea, Eliade, (1952-1980), *Images et symboles, essais sur le symbolisme, magico-religieux*, éd. Gallimard.

لنقتبس من المؤلف:

ضيفاوي، الساسي بن محمد، (2021)، من أنماط الخطاب في النصّ الصوفي. النّقري (ت354هـ)
أنموذجاً، المجلد 06، العدد 01: <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/48>

/